سُوقي على المسرح

شوقي والتاريخ

تلخيص رواياته — موقفه من التاريخ

بقلم ادوار حنين

شوقي ، امير الشعر بالامس ، هو امير الشهرة اليوم. يكاد لا يخلو القطر العربي اجمع ممن يلهج باسمه ، او يتغنى بشعره . ولهذه الشهرة اسباب متنوعة نخص اهمها بالذكر فنقول : ان شوقي نظم المدائح في اعاظم الرجال من ملوك وامراء وسراة فعرفه الرجال العظام ؛ وقال المراثي في شخصيات بارزة محبوبة فسارت بين الخاصة والعامة . ثم انه لم يدع حادثة مهمة تحدث الا بعث فيها قصيدة تشير سير الحادثة في المجتمعات والاندية وعند الافراد . وقد عرف الصغار اليه ببعض قصائد اودعها حكايات ذات مغاز وعبر عرب معظمها عن شاعر الافرنج المشهور لافونتين. ولم يقف عند هذا الحد ، فاستخدم شهرة المغني محمد عبد الوهاب لتوسيع نطاق شهرته فاوحى الى هذا قصائد من مثل « يا جارة الوادي » و« انا انطونيو » و« خدعوها » و« تلفتت » وما اليها ، فوقعها هذا بانغام سحرية وانشدها بصوت شجي . وكان شوقي قد استخدم من قبل شهرة ابو عيون وام كلثوم اللذين تغنيا بقصائد عديدة له منها « وحقك » و« افديه » ؛ فتسرب اسم شوقي الى حيث تسربت اسماء هؤلاء المغنين و« اسطواناتهم » ، الى بلاطات الملوك واكواخ الفقراء ، الى دور العائلات ودور الملاهي ... ولم يكفه كل هذا بل رغب في الزيادة اذ قام ينشئ ، في آخر حياته ، روايات تمثيلية شعرية فكان لنا :

مصرع كليوباترا ، مجنون ليلى ، قمبيز ، علي بك الكبير ، عنترة

الحقها برواية نثرية : امية الاندلس

وسنتحدث الآن عن شوقي والتاريخ تاركين الى وقت آخر الحديث عما سوى هذا المظهر ... لنفي كلًا من مظاهره العديدة حقه.

وصف وتلخيص

فلنأت، قبل كل شيء، على وصف هذه الروايات واحدة واحدة، وعلى تلخيصها موجزين ليتم للقارئ ما يريد اذ يكون له فيها نظرة اجمالية تمكنه من متابعة النقد وتذوقه.

١ً مصرع كليوپاترا

مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ١٩٢٩

رواية تمثيلية شعرية في اربعة فصول وقعت في ١١٠ صفحات، ١٦ × ١٢ سنتمترًا. ملخصها ان انطونيوس القائد الروماني الاكبر واحد الثلاثة (انطونيوس، اكتافيوس، ليبيد) الذين سُلّموا زمام الامور في رومة حوالي السنة الاربعين قبل المسيح، تعشق كليوپاترا مليكة مصر وراح به حبه الى الجحود بفضل رومة والتطوع في خدمة هذه الملكة القادرة. فحاربا جنبًا الى جنب في موقعة «اكتيوم» البحرية، وموقعة «الاسكندرية» البرية، فكان ان خانت هذه حبيبها مرتين متواليتين. فدفع الى الفرار وصفيه اوروس من المعركة الثانية. الى مكان امين حيث تلقى انطونيوس — كذبًا — خبر انتحار كليوپاترا، فعجل بالانتحار. وكان صفيه اوروس قد سبقه فانتحر.

واذ اتفق لهذه ان رأت حبيبها في نزاعه وتأكدت نية اكتافيوس المتغلب في استصحابها الى رومة المنتصرة لجأت، هي ايضًا، الى الانتحار تخلصًا منه. ولحاقًا بانطونيوس حبيبها. وقد تبعها الى الموت وصيفتاها: شرميون وهيلانة — الّا ان هذه الاخيرة نجت بمساعي حابي وانوبيس — فتم هكذا النصر لاكتافيوس، وحق لنا ان نسمي هذه الرواية «مجزرة المحبين» او «مصارع العشاق».

وقد ضم شوقي فيها الى الحوادث التاريخية حوادث اخرى من انتاجه فجاءت رواية في رواية.

اما مجمل هذه الحوادث فهو ان حابي ، احد امناء مكتبة قصر كليوپاترا الثلاثة ، تعشق هيلانة ، وصيفة الملكة ، وكانت هذه مولعة به الا ان حبها القيام بواجب الخدمة الامينة نحو مليكتها كان يمنعها من الاجتماع بحابي والتقرب منه . ولما لم يفت الملكة ما كان بين هـذين العاشقين من مودة وارتباط رغبت في جمعهما الى الابد بالزواج .

الا انها كانت عالمة بما لها عند حابي من البغض وما كان عليه هـذا من الخروج عن الطاعة ، « واي حقوق لهـا تدعي »[1] ولكنها تغلبت اخيراً على عاطفة الانتقام ، وزوجته من هيلانة . . . وكان ان انتحر انطونيوس وكليوپاترا واوروس وشرميون ؛ وآل القصر الى الخراب . فجاء حابي واخذ هيلانة وذهبا معاً الى حيث يقضيان عيشة هـادئة هنيئة . . . الى الحقول التي وهبتهـا اياها الملكة في سهول « طيبة » ، وفيها الختام .

٢ مجنون ليلى

مطبعة المعارف بالفجالة بمصر ١٩٣١

الرواية الثانية من روايات احمد شوقي الشعرية ، وهي ذات خمسة فصول ، وردت في ١٥٠ صفحة ، لها ما لرفيقاتها من الطول والعرض .

ملخصها ان مجنون ليلى ، قيس العامري ، تعلق ليلى منذ كان صغيراً فجنّ بحبها . واذ كان قيس شاعراً ، اخذ يتغزل بليلاه ويشبب بها ، فسار شعره بين القوم سيراً سريعاً وبعيداً . وكان العرب يعدّون عاراً ان يتغزل شاعر بنسائهم ، فتقم عليه آل ليلى والمهدي ابوها بان حرّموا عليـه نتاتهم . فتكرّد هـذا في مضارب البادية ومشارقهـا — ويقال انه وصل الى الشام — ينشد التزليـات والفراقيات ولا يصحو الا اذا ذكرت له ليلى . وكانت هذه كثيرة الحبّ له . الا انها فضّلت التضحية بحبها على التضحية بشرفها وشرف ذويها ، فتزوجت ورداً متخلية عن قيس المجنون . . . ولم يقف شوقي عند هذه الخاتمة بل تعداها فارفقنا

---

١) مصرع كليوپاترا ، ص ٢٢ (وهو جوابه موجهاً لهيلانة عندما دعت الى المحافظة على حقوق كليوپاترا)

تجاه قيس وورد — زوج ليلى — يتحدثان عنها ، وتجاه قيس وليلى بعد زواجها ، وتجاه موت ليلى وتعازي القوم لابيها ومراثي الشعراء فيها ؛ منها مرثاة قيس « المجنون » . . . ولم يات على الختام الا بعد ان شط وبعد عن صميم الموضوع في فصلين كاملين .

٣ً قمبيز

مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، كانون الاول ١٩٣١

وهي الرواية الثالثة جاءت في ثلاثة فصول صفحاتها ١٢٥ ، من الصفحات المرصوفة اعلاه (١٦ × ١٢)

ملخصها ان قمبيز ، ملك الفرس ، طلب الزواج نفريت ابنة امازيس ، فرعون مصر . فابت هذه وأحب والدها ألا يماكسها في رغباتها . إلا ان خطر هذا الرفض كان عظيماً . فويل مصر من قمبيز منتقماً . وادركت نتيتاس ابنة فرعون ايرياس المقتول مقدار هذا الخطر على عرش آبائها ، فطلبت ان تحل محل نفريت فتفتدي بمصر بدمها البري . فلم تجد معارضة ؛ فاقيمت الافراح في بلاط فرعون وانصرف القوم باميرة مصر الى بلاد فارس . ولم تطل بها الاقامة هناك الا جاء فارسَ فانيسُ القائد في الجيش المصري الملتحق بالجيش الفارسي واطلع قمبيز على الخديعة ، فثارت ثورة هذا وجند جيشاً وزحف قاصداً مصر فوصلها واعمل فيها الحريق والقتل والنهب .

وما ان استقرَّ به المكان الا علم بخبر انتحار نفريت . فجنَّ وتجلى جنونه بان طفق يقتل كل من رأى فوقعت الواقعة على فانيس الخائن ، وقائد جيشه الاكبر وكان شيخاً ، وابيس ، العجل المقدس ، اله النيل . . . اما هو فقد تولت عليه روّية اذهلته فانتحر . وهكذا انتهت الرواية بجداد المصريين على مليكهم ومليكتهم والههم ابيس ، والفرس على مليكهم وقائد جيوشهم .

٤ً علي بك الكبير او دولة المماليك

مطبعة مصر ، شركة مساهمة مصرية ، ١٩٣٢

الرواية الرابعة من روايات شوقي الشعرية . وهي كالتي تقدمت ذات ثلاثة

فصول جاءت في ١٣٢ صفحة تماثل واخواتها طولاً وعرضاً.

ملخصها ان محمد بك «ابو الدهب» متبنّى علي بك الكبير واحد امراء المماليك، خرج على ابيه وولي نعمته فناصره كثير من المماليك. واذ ادرك علي خطورة الامر فرّ من مصر ساعة اقترانه بالأمة آمال، ولجأ الى ظاهر العمر في عكا واستنجده هناك على الثائرين فانجده. وقد شهدنا ما كان من امر النجدة اذ وقع ظاهر في قبضة الخارجين وقتل مراد بك علياً واستتب الامر لمحمد بك «ابو الدهب»

الا ان هناك حادثة غرامية جرت مشاهدها الى جنب الحادثة التاريخية. وهي ان آمال الامة التي تزوّجها علي بك الكبير والتي عرضتها للبيع ورفيقتيها، امّ محمود، كانت أتوفاً عزيزة النفس ابية، فتمرّدت على ابيها مصطفى البرجي الذي رغب في بيعها، وعلى ام محمود، وعلى كل من جاء يساوم على سعرها. فرق لها علي وتزوّجها. وكان قد علق بحبها مراد بك فتعشقته الا انها ظلت مبدية له النفور لاباتها ولانها لا ترضيها عيشة الجواري في بيوتات الامراء والملوك... وما زالت آمال في قصر علي آمرة ناهية معرضة عن مراد بك، الى ما بعد الحرب التي ذكرناها، يوم اقرّ مصطفى البرجي قبل ان تيتم جراحه بانه والد مراد بك وبان آمال هي ابنته ايضاً فختمت الرواية بان اعلم مراد آمالَ انها اخته لابيه مصطفى فانتشر الخبر بين القوم حتى بلغ محمد بك «ابو الدهب».

فبكت آمال زوجها علياً، وبكيا معاً اباهما مصطفى... وانعم عليها محمد بك بقصر علي المسمّى بقصر المطاط، ووعدهما بتوفير حياة الرغد والهناء لهما... وهكذا تمّ تعارف الاخوين.

٥ - عنترة

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢

وهي الرواية الخامسة والاخيرة من روايات شوقي الشعرية، قسمت الى اربعة فصول، واستودعت في ١٣٩ صفحة كلها على الطراز الموصوف اعلاه.

ملخصها ان عنترة، فارس الفرسان، ذاك العبد الاسود الذي صوّرته لنا

الاسطورة بجلاء ، إحبّ عبلة ابنة امير الحي ، فبادلته الحبّ فنال دون زواجها رفض ابيها واخوتها لاسباب اهمها ان عنترة عبد ابن امة . فالعقدة اذاً : الحصول على رضى مالك . فتش عنترة عن هذا الرضى في حماية القبيلة والذود عن نسائها ومراعيها وكافة حقوقها والظهور بمظهر المحارب الذي لا يشقّ له غبار . فتل هذه الادوار حقّ تمثيل ، فتلك بانتصار الاكاسرة والمناذرة — بني لخم — فتكاً ذريعاً وابعد الغزوات عن قبيلته بان عارك قرماً من الغزاة فانهاهم . . .

الا انه لم يوفق الى رضى المهدي الذي احلّ يد ابنته الى صخر ، سري من سراة عامر ، فما كان من عنترة آنذاك الا ان سقط على ركب العامريين الذاهبين عبلة الى صخر فاختطف منهم عبلته وتزوّجها . راغماً انف ابيها وذويها عامة . فحمى لهما جوّ الحياة وعاشا خلي البال ، وكان عنترة فرض ارادته على صخر فزوّجه ناجية رفيقة ليلى ، التي كانت مغرمة به . وهكذا تمت الرواية بزواج المتيمين : عنترة وصخر ، هذا من التي احبته وذاك من التي أحب .

٦ً أميرة الاندلس

مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٣٢

وهي الرواية النثرية الفردة التي وضعها شوقي بك ، فصولها خمسة ، صفحاتها ١٥٧ ، كلها على الطراز الموصوف قبلاً

وهذه ايضاً رواية ذات واقعتين : واقعة اولى تطلعنا على حالة ملك اشبيلية المعتمد بن عبّاد ، وعلى مصيره ومساوئه فنعلم انه ارغم على امره فخلي الملك ، وقيد الى سجن مظلم في اغمات هو وعائلته الملكية . وواقعة اخرى تطلعنا على حادثة غرام لها اولها وآخرها ، وقعت لبثينة ابنة الملك ابن عباد وحسون بن ابي الحسن تاجر اشبيلية الاكبر .

فترى كيف تعرّفت هذه الى وجه حسون ، وذلك في سوق الكتب في قرطبة ، فعلقت بهواه وظلت على حبها له الى ان عادته مثلثة في بيته فتعارفا وتسارّا الحب .

ثمّ وقعت الحرب . فتم انكسار ابن عباد واسرا وسبيت بثينة . ومضت

السنون على هذا الحادث الى ان عاد ابو الحسن وابتاعها من السابي — كل هذا مع حوادث عجيبة غريبة — فعاد بها الى داره ثم سار وايلها وابن حيون وحسون الى السجن حيث ابيها ، فتم اقتران حسون ببثينة عند رضى الاهل اجمعين .

المصادر

لم يعتمد شوقي في رواياته التمثيلية على سوى التاريخ ، وان اقلع عنه فليستبدله بالاسطورة .

ولا حاجة بنا للعودة الى التاريخ ونقل صفحاته العديدة . انما نكتفي بالاشارة الى تلك الصفحات التي نرجح ان شوقي استند اليها في رواياته ، فيطالعها من يريد :

لكليوپاترا وانطونيوس اخبار في التواريخ الرومانية كلها . وليرجع الباحث عن مصادر « مصرع كليوپاترا » الى تاريخ « Humbert et Petitmangin »[1] في الصفحة ٢٢٠ وما اليها .

وليراجع قارئ قيز ما ورد من اخبار هذا الملك الفارسي واخبار همجيته وقسوته في Maspero, *Histoire ancienne des peuples de l'Orient* ، وذلك في الفصل الثالث عشر الحامل اخبار افتتاحات العجم حيث وردت اخبار قيز وامازيس وبسامتيك الثالث ، وافتتاح مصر في السنة ٥٢٥ . ترى كل ذلك في الصفحات ٦٧٥—٦٩٥ .

وقد جاء جرجي زيدان في كتابه « تاريخ مصر الحديث »[2] في الجزء الثاني منه ، على ذكر علي بك الكبير والمناوشات التي حصلت بينه وبين محمد ابي الذهب ، وذلك في الصفحات ٥٦-٦٦

اما عنترة والمجنون فاخبارهما في الاغاني[3] . فقد ورد للاول ذكر في :

---

١) Paris, J. de Gigord, éditeur. 2e édition, 1926

٢) المطبعة المصرية ببولاق

الجزء الاول ص ١٠٦
الجزء الثاني ص ١٣٢
الجزء السابع ص ١٢٥
الجزء التاسع ص ١٤٨
الجزء الحادي عشر ص ٢٨
الجزء الخامس عشر ص ١٢٣ ، ١٢٢ ، ١٢٧ ، ١٣٨ ، ١٤٨ - ١٥٢

والثاني ذكر في الطبعة الحديثة من الاغاني وفي الجزء الثاني منها ، من الصفحة الاولى الى الصفحة ٧٢ [1]

اما اميرة الاندلس فاخبارها في Dozy [2]

موقف شوقي من التاريخ

وماذا كان موقف شوقي من التاريخ ؟

الحق يقال ان شوقي لم يدرك واجبات الروائي تجاه التاريخ ، اذا ما اتخذ الروائي التاريخ مصدرًا لرواياته . وليس من الامانة الادبيـة في شيء ، ولا من حسن الذوق الفني ، ان ينزو الروائي التاريخ باقل حوادثه في عمل عماده الاكبر الخيال ولذته الكبرى ما فيه من جديد الاحداث وعذب الابتكار .

ان يستوحي المؤلف الروائي التاريخ فينقل عنه حادثة من حوادثه المشهورة ويتفنن في عرضها ، اذ يضفر على حواشيها مشاهد ومواقف تقرب بالروح منها وترتبط بالاحتمال اليها ؛ فليس هذا من المستنكر . امّا ان ينقل الروائي التاريخ مدخلًا عليه بعض الاخطاء الفظيعة ليوهم القرّاء انه تحرّر من قيوده وتفلّت من حباله . فهذا ما لا مبرّر له ، وما يمجّه كل ذي ذوق سليم وادب صادق .

ولم يكن شوقي ، في وقفتـه تجاه التاريخ ، كما سترى ، الا هذا الثاني ، اذ انه كان يكتفي بان ينظم شعرًا الحوادث التاريخية كما عرضت ؛ ولم يتعب في اخضاعها لقواعد المسرح والتمثيل مقدماً ما يجب تقديمه ، مؤخرًا مـا يجب

---

١) الاغاني – مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة – الطبعة الاولى

٢) Dozy, *Histoire de l'Espagne II*, p. 150 et s.

تأخيره ، ومهملًا ما لا منفعة له فيه ان لتحسين واقعة الرواية او لتصوير شخصيات اشخاصها ، وان لزيادة ، اية كانت ، في محسنات الرواية التمثيلية .

ونحن لا نرجئ تبيان هذه الحقيقة الى وقت آخر . وانما نسعى ، من ساعتنا ، الى جلاء الموقف ، فنعرض للقراء صورتين : صورة اولى يتراءى لنا فيها « مجنون ليلى » شوقي ، واخرى توقفنا تجاه المجنون في التاريخ ؛ فيرى القارئ هنا ما لشوقي فيها فيبقيه له ، وما للتاريخ فيعيده للتاريخ .

مسألة يجب ان تعلم قبل كل شيء وهي ان مجنون شوقي هو المجنون العامري قيس بن الملوّح بن مُزاحم بن عدس بن ربيعة بن جَعدة بن كعب ابن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، الذي نقلت لنا اخباره في كتاب الاغاني وفي الصفحات المشار اليها . ذلك ان غير واحد لقب بالمجنون وكلهم كان يشبّب بليلى كما حدّث الاصمعي قائلًا : « سألت اعرابيًا من بني عامر بن صعصعة عن المجنون العامري فقال : عن ايهم تسألني ؟ فقد كان فينا جماعة رُموا بالجنون فمن أيهم تسأل ؟ فقلت عن الذي كان يشبّب بليلى فقال : كلهم كان يشبّب بليلى . فقلت : فانشدني لبعضهم »[1] فانشده هذا لمزاحم بن الحارث المجنون ، ولمعاذ بن كليب المجنون ، ولمهدي بن الملوّح . — ومهدي هذا اسم آخر ذكره بعض الرواة عانين به قيس بن الملوّح المقصود في بحثنا .

نقطة اولى وقف عندها شوقي حائرًا وهي مسألة جنون قيس ، فسمعناه يتراوح تارة بلسان منازل — والكلام عائد لقيس —

تؤدّبني ، زياد ، وانت ظلّ لمجنون ، ورواية لحاذي (٢

وبلسان ليلى :

وقيس ذو جنّة ، وان زعموا جنونه مدّعى ومصطنعا
تحير الناس في جنونه فتى لا عقل الا بشره ولعا (٣

وبلسان المجنون نفسه :

« عامهم لا يقولون : فتى مشتركُ اللبّ » (٤

---

١) راجع ذلك في الاغاني (طبعة دار الكتب المصرية) ٢ : ٦
٢) مجنون ليلى ٢٠ ٣) مجنون ليلى ١١١
٤) مجنون ليلى ٥٠

وهذا :

ليلى ، لحاني مجنون يخيل لي لا لحاني عادوا على ليل ولا نوحوا (١

وتارة نسمعه يصرح بالعكس ، نافياً عن قيس الجنون ؛ من ذلك تصريح منازل وشهادة القوم بها . قال منازل :

ان قيساً كامل في عقله ؛ او آتسم على قيس الجنون ؟ (٢

فيجيبه الناس مقسمين : « لا ورب البيت »

ولم يكن شوقي في هذا المقام الا مجارياً التاريخ حيث تقاسمت الاراء في هذه المسألة ، وحيث رأينا علماء الانساب والمطلعين على اخبار العرب لم يجمعوا على اقرار الجنون في قيس . فمنهم من سلم بجنونه ، وهم الكثيرون ، ومنهم من حاول نكران ذلك كالاصمعي الذي حدث حماد بن طالوت بن عباد قال :

« لم يكن مجنوناً بل كانت به لوثة احدثها العشق فيه » (٣

وكابن سلام الذي قال :

« لو حلفت ان مجنون بني عامر لم يكن مجنوناً لصدقت ، ولكن تولّه لما زوّجت ليلى وايقن اليأس منها » (٤

فشوقي في مجاراته التاريخ ، واقفاً معه ما بين انكار الجنون عن قيس واثباته عليه ، جعل صاحب « النظرات التحليلية » — والنظرات هذه بحث نقدي جاء في ذيل رواية المجنون — ان ينفي الجنون عن قيس مستشهداً ببعض اقوال له صائبة كان يتلوها المجنون عندما يُحدّث عن ليلى او تذكر له ، كحديثه لليلى قبل اغمائه للمرّة الاولى في الفصل الاول (٥) ، وحديثه لها في الفصل الثالث قبل ان يغمى عليه للمرّة الثالثة ، اذ كان يناجي ليلى وحيّها مناجاة العاقل ويقرّر وينفي ويناقش في منطق سليم (٦) كما قال صاحب النظرات . وكذلك قوله عن حديثه ساعة وقف على مقربة من دار ليلى وحيّها الجديد حيث تصوّر صوراً لا يمكن ان تخطر في خيال عاقل .

---

١) مجنون ليلى ٤٦
٢) مجنون ليلى ٥٧
٣) الاغاني ٢ : ٤
٤) الاغاني ٢ : ٣٨
٥) المجنون ٣٦
٦) المجنون ٥٢

ولو تريث الناقد قليلاً قبل اطلاق حكمه لما فاته ان شوقي في هذا المقام ايضاً يزعجه ان يخالف التاريخ ، فيجاريه على مزاعمه واعتقاداته . وذلك ان علماء التاريخ يقولون كما قال عثمان المرّي : انه كانت بقيس جنة « اذا ذكرت لـه ليلى نشأ يحدّث عنها عاقلاً ولا يخطئ حرفاً »[1].

والآن فلننظر الى مظاهر هذا الجنون اهي هي في مجنون شوقي ومجنون التاريخ ؟ متبعين ذلك بنظرة الى قيس العاشق وصفات عشقه ، وما الى هنالك من الاوصاف التي اتصف بها المجنون.

لقد جاء في شوقي — والكلام صادر عن ابن عوف — :

ما باله يطأ التراب حافياً ويقطع اليد ممزّق الردا (٢

وجاء ما يوازي ذلك في التاريخ وهو قول لعثمان المرّي :

« كان — قيس — لا يلبس ثوباً الا خرّقه ولا يمشي الا عارياً » (٣

وجاء في شوقي ان احداث الحيّ كانوا يأتونه وينشدونه الشعر والنزل[4] . فيصدّهم عنه حاصباً جماعتهم بالحصى كما شهد ذلك ابن عوض عندما قال مخاطباً نصيباً :

انظر ، نصيب ، ضجّة وصيحة ورجل يرمي المنار بالحصى (٥

اما ما كان يقوله الاحداث فهو :

قيس عفّر البوادي ومزار الزبوات
قيس كشّفت الذارى وانتهكت الحرمات (٦

قابل ذلك بقول عثمان المرّي :

« كان يلب بالتراب والحجارة . . . ويأتيه احداث الحي فيحدّثونه هنها — اي ليلى — وينشدونه الشعر والنزل » (٧

وبما قاله رجل من بني مرّة من انه خرج اليه ولما رآه قيس تناول حجراً يرميه به[8].

---

١) الاغاني ٢ : ١٦
٢) المجنون ٢٦
٣) الاغاني ٢ : ١٦
٤) المجنون ٢٧
٥) المجنون ٢٨
٦) المجنون ٢٧
٧) الاغاني ٢ : ١٧
٨) الاغاني ٢ : ٤

وجاء في شوقي ان قيساً اضرب عن الاكل، وذلك فيما قاله زياد :

يـاقه قيس الا اكلت (١

فيلاحظ شوقي بقوله :

يشتد ميل قيس عن الطعام

ويزيد بلهاء هامسة لزياد :

زياد ، ما ذاق قيس ، ولا همّا

وكان قد جاء في التاريخ خبر امية الجبار بن سليمان بن نوفل بن مساحق عن ابيه عن جدّه قال :

« اختلط عقل قيس بن الملوّح وترك الطعام والشراب » (٢

وجاء في شوقي ان قيساً كان يهيم ويظل متشرداً في مناكب البلاد ومشارقها، كقول منازل :

تشرّد مستظماً في البلاد ، وجُنّ فما ازداد الا ُنى (٣

وقال جني من العفاريت الذين كانوا بصحبة الاموي ، شيطان شعر قيس :

لقد ضلّ الطريق ، أما تراه يمزّق بالبنين وبالشمال ؟
وقد قلب الشباب عليه ضجاً على عاداتهم عند الظلال (٤

وشهد قيس على نفسه اذ قال :

ربِّ ، الى اين انتهت بي السُرى وايّ وادٍ انزلتني ، يا تُرى ؟
عامي في الشام ؟ لعلي جزته ؟ او انا بالطائف ؟ او ابن انا ؟ (٥

وكان عثمان المرّي قد تكلم عن هيامه اذ قال : « فهو يهيم »(٦

ولم يأتِ ذكر الشام فيما ذكرناه من شعر قيس عرضاً . وانما كان قد بلغ قيس الشام في تشرّده ، وذلك عند حدّ قول هشام بن الكلبي :

« وصل قيس الى الشام وكان يسأل من يمرّ به : اين نجد ؟ » (٧

جنّ قيس فلم يفت آله وانسباءه هذا الجنون نظراً لظواهره التي رأيت

١) المجنون ٢٢
٢) الاغاني ٢ : ٢٥
٣) المجنون ١٩
٤) المجنون ٢٢
٥) المجنون ١٢
٦) الاغاني ٢ : ١٧
٧) الاغاني ٢ : ٢٢

ومن البديهي ان يقوم والد قيس ، وكان لم يزل في قيد الحياة ، بامر شفائه تماً هو فيه ، وهكذا كان . وقد اطلعنا على ذلك شوقي في قول زياد لابن عوف ، عندما اشار عليه هذا ان يذهب بالمجنون الى الكعبة للاستشفاء ، وهاك ما قال زياد :

رويدًا ، سيدي ، مهلا ! فلا تستغرب الامرا
لقد سقناه بالامس ، فحجّ الكعبة الغرّا
فلمّا لمس الركن ، ومست يده الشرا ،
وقلنا : الآن من ليلى ومن فتنتها يبرا ،
سمعناه ينادي : الله من ساحته الكبرى

ابن عوف : وماذا قال ؟

زياد ، متابعاً :

ما تاب من العشق ، ولا استبرا
ولكن قال : يا ربّ ملكت الخير والشرا
فهبك الشرّ ، ان كان هوى ليلى هو الشرا ،
وان كان هو السحر ، فلا تبطل لما سحرا !
ويا ربّ ، هب السلوى لنيري ، وهب الصبرا ،
وهب لي موتة المضنى بها لا ميتة اخرى (١

وكأن شوقي احبّ ان ينظم شعرًا ما قاله هشام الكلبي عن ابيه نثرًا من ان ابا قيس قاد ابنه الى مكة وقال له :

«تعلّق باستار الكعبة واسأل الله ان يعافيك من حبّ ليلى فتعلق باستار الكعبة وقال : « اللهم زدني حبًا لليلى ، وبها كلفًا ، ولا تنسني ذكرها ابدًا . » فهام حينئذ واختلط فلم يضبط » (٢

هذا ما حضرنا عن جنون قيس ، وهذا كل ما جاء في رواية شوقي عن اصله ومظاهره . فلنتكلم الآن عن عشقه الذي هو في نظر المؤرخين ، ونظر شوقي ، علة هذا الجنون . اما كيف نشأ هذا العشق وما هي مظاهره فهذا ما سنجده باظهازه فيما يلي :

يقول شوقي ، فيما يخصّ اصل عشق قيس لليلى ، بالرأي الذي يأخذ به معظم المؤرخين . اما هذا الرأي فادلى به شوقي في مقالين مختلفين اولهما قول قيس مخاطباً ليلى :

---

١) المجنون ٤٢-٤٤ ٢) الاغاني ٢ : ٢٢ -

تسالي الى ذكرى الصبا وجنونه ، واحلام عيش من دد وأمان

. . .

ولم تكُ تدري يوم ذلك ما الهوى ولا ما يرود القلب من خفقان (١

وثانيها قول قيس تجاه جبل التوباد :

جبل التوباد ، حيّاك الحيا ! وسقى الله صبانا ورعى !
فيك ناغينا الهوى في مهده ، ورضعناه فكنت المرضعا !
وعلى سفحك عشنا زمناً ورعينا غنم الاهل معا
هذه الربوة كانت ملعباً لشبابنا ، وكانت مرتعا (٢

ونحن نعلم ان ابا عمرو الشيباني وابا عبيدة قالا في نشأة هذا الحب ما قاله شوقي :

« ان المجنون كان يهوى ليلى وهما حينئذ صبيان فعلق كل واحد منهما صاحبه وهما يرعيان مواشي اهليهما فلم يزالا كذلك حتى كبرا . . . » (٣

اما مظاهر هذا العشق فهي ان مجنون شوقي قال الشعر واجاد في ساعات هيامه، ولم يكن مجنون التاريخ ليقصر عنه في هذا المضمار فقد كان شاعراً فذّاً.

كان عشق قيس يثير فيه الشعور فيقول الشعر فيزيد هذا العشق عشقاً فيغمى على قيس من وجده. ان قيس التاريخ كان سريع الاغماء كثيره. وقد رأينا الاغماء يعاود قيس شوقي عندما يأتي في طلب النار من دار ليلى ويسرّها ما به[٤] ؛ وعندما يسمع صغار الحيّ ينشدونه غزلاً ويذكرون له اسمها ؛ وعندما يشخص امام حي ليلى ، بصحبة ابن عوف ، ويرى ليلى في حيها المضطرب بين الرماح والسيوف[٦] . وقد شهدنا ابا المهدي ينصح اتباع قيس بان يكبّروا في اذنيه فيصحو[٧] ؛ ثم عندما اطلعه بشر على وفاة ليلى حبيبته[٨] . وهي صفة اقرّها له التاريخ فقال فيها مهدي بن سابق :

« ان قيساً سادف حيّ ليلى راحلاً ولقيها فجأة فعرفها وعرفته فصعق وخرّ مغشياً على وجهه » (٩

---

١) المجنون ١١٢-١١٤
٢) المجنون ١٢٢
٣) الاغاني ١١
٤) المجنون ٣٦
٥) المجنون ٣٨
٦) » ٥٢
٧) » ٧٢
٨) » ١٤٠
٩) الاغاني ١٤

ونقل خبرًا كهذا ايضاً نوفل بن مساحق والقحذمي[1].

وقد ضمّ شوقي الى هذه المظاهر مظهر البكاء فاسمعنا قيساً يقول :

وكم جدت عى الرمل، ولم ابخل على العشب ،
بدمع مثل دمع الثكل مذروف من القلب (٢

وهذه ظاهرة لم يتعب المؤرخون باثباتها له ، فضلًا عمّا قاله هو في نفسه عن بكائه ودموعه.

وقد تجلّى عشقه بعلامات ، غير الجنون والاغماء والبكاء ، اهمها المزال والصفرة فقال شوقي في ذلك – والكلام صادر عن جنّي اسمه هيد – :

تأمل قيساً المُضنى تجده ، من الذوبان ، اصبح كالخيال (٣

وهاك ورد يرى قيساً فيقول فيه :

لعلّه ابن سبيل يمرّ بالحيّ مرًا
انى رآه سقيماً يمرّ ساقيه جرًا

رفيق : عرفت من هو؟

ورد : قيس به الغرام إضرًا (٤

وهاك قول منازل :

هو ابن الملوّح دلّ المزال عليه ونمّ اضطراب المُطا (٥

وهاك قول ليلى :

ابي ، ما تراه كالذي انا فيه وي نحولًا وكالثيب اصفرارا (٥

وهما صفتان — المزال والصفرة — حدّث عنهما ابن مسكن قال :

« . . . واذا معهم فتى ابيض طوال – اي مفرط الطول – كاحسن من رأيت من الرجال على مزال منه وصفرة ، واذا هم مشفقون به ، فسألت عنه فقيل لي: هذا قيس المجنون » (٦

وحدّث عنهما التاريخ في قوله :

ولم يبقَ الا الجلد والعظم عاريًا ولا عظمَ لي، ان دام ما بي ، ولا جلد (٧

اما كيف كان يقوم المجنون بواجب هذا العشق فقد قال عجباً في رواية شوقي :

كم جئت ليل بابيات ملفّقة ! ما كان اكثر اسبابي وعلّاتي ! (٨

---

١) الاغاني ٦٦
٢) المجنون ٥٠
٣) المجنون ٩١
٤) المجنون ١٠٤
٥) » ٢٩
٦) الاغاني ٢٢-٢٣
٧) الاغاني ٦٥
٨) المجنون ٢٢

فنشتم من هذا البيت انه كان كثير التردد الى بيت ليلى ممهدًا لنفسه الطريق باسباب ملفقة . ولم يكن يأتي بهذه الاسباب الا في سبيل الاجتماع بها والتحدث اليها .

وقد اثبت التاريخ الشيء نفسه في قول رباح بن حبيب العامري حيث جاء :

« كان المجنون اول ما علق ليلى كثير الذكر لها والاتيان بالليل اليها والعرب ترى ذلك غير منكر ان يتحدث الفتيان الى الفتيات » (١

وهو القائل :

« . . . وكان يأتيها في كل يوم فلا يزال عندها فاره اجم حتى اذا امسى انصرف » (٢

اما ما نراه عند شوقي من ايفاد هذا وذاك الى ليلى ، فهذا ناتج عن اهدار الخليفة دمه ، فهو ان عرض لآل ليلى قتاوه ؛ لا لخجل منه او جزع من القيام بحضرة من يحب .

قال شوقي :

حلل السلطان بالامس لكم دم قيس ما الذي تنتظرون ؟

وجاء في الاغاني :

« حدث الهيثم قال . . . ولم يسمح للمجنون بدخول الحي قال القوم : لا والله لا يدخل المجنون منازلنا ابدًا او يموت فقد اهدر لنا السلطان دمه » .

وليست هذه السفارات ، سفارة ابن ذريح وسفارة ابن عوف ، من مخترعات شوقي وانما وردت في الاغاني حيث جاء :

« حدث اسماعيل بن ابي اويس قال : التمس قيس بني عامر فتيًا بن ذريح وطلب اليه الاول ابلاغ سلامه لليلى فمضى قيس بن ذريح حتى اذا ليلى فسلم وانتسب فقالت له : حيّاك الله الك حاجة ؟ قال نعم . ابن عمك ارسلني اليك بالسلام ؛ فاطرقت ثم قالت : ما كنت اهلًا للتحية لو علمت انك رسوله » (٣

وهذا ما جرى حقًا في رواية شوقي لابن ذريح الذي نراه في الفصل الاول في المشهدين الاولين[٤] . ولم تكن سفارة ابن عوف الا تاريخية ايضًا ، وقد نسبها شوقي لابن عوف ، ولي صدقات بني كعب وتشير و . . وقد قام بها في الحقيقة

١) الاغاني ٤٣
٢) الاغاني ٤٤-٤٥
٣) » ٤٣-٤٤
٤) المجنون ١-١٤

خليفته نوفل بن مساحق الذي تولى الصدقات في السنة الثانية. ونحن نكتفي، لاظهار الدور الذي مثله هذا في رواية شوقي، بايراد الحادثة كما جاءت في التاريخ :

« ولي ابن عوف صدقات بني كعب وقشير . . . فنظر الى المجنون قبل ان يتحكم جنونه فكلمه، وانشده فاعجب به . . . اخذه معه في الجيش . . . جاءه رهط من رهط ليلى واخبره بامنته وانه لا يريد التجمل به وانما يريد ان يدخل عليهم ليوشم ويفضحهم في امرأة منهم يهواها فاعرض هذا من قيس . . . ووليت الصدقات في السنة الثانية نوفل بن مساحق وفيه رويت حادثة الثوب . . . وخطبة ليلى من ايها لقيس . . . وهياج الحي. وحرمانه للدخول اليه » (١

فجلّ ما غيّره شوقي في هذه الحادثة انه مزج ما حدث لوليّي الصدقات وقيس ونسب كل ذلك لوليّ واحد هو ابن عوف.

هذا . وقد نسب شوقي الى مجنون ليلى صفات خارجية باتت تحتجب النساء فيه جمعها ابن ذريح بقوله :

وقيس ، يا ليلى ، وان لم تجملي ، زين الشباب ؛ وابن سيد الحيي
لم تدر في حيك او في حيه فتى حكاه نبلا ولا فتى
ولا جمالا . . . (٢

وكلها صفات ذكرها ابن مسكن بقوله :

« واذا معهم فتى ابيض طوال جعد كاحسن من رأيت من الرجال » (٣

واتمها عثمان المرّي اذ قال :

« كان قيس اجمل الفتيان » (٤ :

وهكذا فاننا نرى تقيد شوقي المفرط بالتاريخ، وما لهذا في ذمته في اخراج رواياته، وخاصة في اظهار شخصية قيس المصوّرة اعلاه . . . اجل ! ان قيسنا مجنون، وهو مجنون على طريقته، ولم نطلب من شوقي يوماً ان يصوّره لنا متعقلاً، معاكساً في ذلك الحقيقة التاريخية، وانما رغبنا اليه لو صوّر هذا الجنون بطريقة تعرف به لا ينقل فيها التاريخ واسلوب التاريخ . . . وهو لو فعل لكان مجنونه على غير ما هو عليه من الروعة والجمال . . . والذوق الفني.

١) الاغاني ١٦-١٧ ٢) المجنون ١٢
٣) » ٢٢-٢٣ ٤) الاغاني ١٥

ولم يقلّ تقيد شوقي بالتاريخ في علي بك الكبير ، وقبيز ، ومصرع كليوباترا ، واميرة الاندلس ، عنه في مجنون ليلى .

الا ان شوقي ، على ما شهدنا عنده من الاحتفاظ بالحوادث التاريخية ، لم يكن يحسن المحافظة على الحقيقة التاريخية او قل على جوهر التاريخ .

وذلك ظاهر في عنترة على الاخص ، عندما يصوّره لنا وعبلة تجول فيهما روح القومية الحية فيدعوان الى الوحدة العربية وعندما لا يحسن تصوير « السيد العربي » فيما نسبه لمالك ابي عبلة ، كما سترى .

فما هو مستند هذه الدعوة من التاريخ ؟

مما لا مراء فيه ان ذاك العربي ، ربيب الصحارى الواسعة الارجاء ، الممتدة الاطراف ، الذي حُكم عليه ان يعيش معتزلاً ، منفرداً باعضاء اسرته كان لا يحلم بالوحدة ولا يشعر بتلك الروح ، روح القومية التي نُسبت اليه . وجلّ ما كان يفكر به هو ان يحمي قبيلته فتبقى له مراعيه ومواشيه ويحافظ على نسائه من ان تُسبى . واذا تمّ له ذلك كان ينالب جيرانه على ماء آبارهم وحشيش مراعيهم ليحقق حياة ماشيته المتعلقة بها حياته وحياة اهله .

وقد اخذ ابن خلدون بهذا الرأي في صفحات من مقدمته حيث بيّن كيف « ان العرب ابعد الامم عن سياسة الملك »[1] وانهم « ان تغلبوا على اوطان عاجلة اسرع اليها الخراب »[2] والتاريخ العربي باجمعه كفيل بتبيان هذه الحقيقة .

وقد قال ما يقابل ذلك الاب لامنس اليسوعي في كتابه Le Berceau de l'Islam « وجاء له في احد اعداد « المشرق »[3] ما يلي :

« ان البدوي رجل فردي ولهذا لم يرتقِ قط الى مستوى « الحيوان الاجتماعي » فيؤلف نظاماً سياسياً واجتماعياً ثابتاً . وان تلك الصفة الفردية وحدها تشرح ما نراه في البدوي من عدم الاخلاص للمصلحة العامة المشتركة » ولاحظ انه جاء في سفر التكوين (١٦ : ١٢) في وصف اسماعيل جدّ العرب

---

١) مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية – ص ١٠٧ الفصل ٢٨

٢) مقدمة ابن خلدون – المطبعة البهية المصرية – ص ١٠٥ الفصل ٢٦

٣) المشرق ٣٠ [١٩٣٢] ١٠٤

هذه الصورة : « ويكون رجلًا وحشيًا يده على الكل ويد الكل عليه وامام جميع اخوته ينصب مضربه » . . . وقال : « ما ذاك الا لانه عاجز عن ان يرتفع ، بنفسه ، الى ما فوق فكرة الحي او القبيلة . عاجز عن ان يتصور نظاماً اجتماعياً اوسع وارقى . واذا ارتفع الى شيء من ذلك بمساعدة قوة خارجية . فلا يلبث ان يرجع الى تقشفاته وتشبثاته عندما تتركه تلك القوة الخارجية وسواء اكانت هذه القوة نبوغاً سياسياً كنبوغ معاوية الاول او حزماً اداريًا كحزم زياد بن ابيه والحجاج وغيرهما . . . فيعود البدوي القهقرى الى فطرته الفوضوية »

فالعربي اذًا ، من فطرته ، فردي وفوضوي ، ومن اجتمعت فيه هاتان الصفتان لا يمكنه ، ولا بوجه من الاوجه ، ان يطمح الى الوحدة . . . بل انه لا يمكن ان يتصورها .

فاين نحن ، واين الحقيقة التاريخية ، واين شوقي منها ؟

ولم يكن شوقي في تصويره « السيد العربي » باقرب الى الحقيقة التاريخية منه مصورًا الرجل العربي .

ذلك انه اظهر مالكاً بظهر اللؤم والخسة في حين ان هذا لم يكن على شيء من ذلك . والا لما كان تنصب سيدًا ، والعرب يتعبون في انتخاب اسيادهم .

فمن هو مالك في شوقي ؟

سيد لئيم ، حسود ، خسيس النفس ، دنيئها ، لا هم له الا قتل عنترة ، فارس الفرسان ، وحامي القبيلة الفرد[1] . فهو القائل لسراة بني عامر اذ طلبوا يد ابنته لصخر اميرهم :

أصيخوا لي : اذهبوا ، قولوا لصخر يقدم رأس عنترة صداقا (٢

وهو القائل لضرغام في سبيل هذه الغاية :

المهر يا ضرغام غال فاجتهد ان تحذره . . .
اسمع ، اذن ، اصغ له : المهر رأس عنتره (٣

---

١) راجع عنترة ص ٢٤ وما يليها . ٢) عنترة ص ٥٦
٣) عنترة ص ٦٥-٦٦ .

اما التاريخ فيعلمنا ان الخشونة واللؤم والدناءة والحسد ليست من صفات السيد العربي . وانما هي صفات وسم بها شوقي مالكاً ظالماً وجبوراً . اما صفات السيد العربي ، على ما ذكر الاب لامنس ، فمنها الحلم والكرم : « يجعل السيد العربي بيته مفتوحاً للضيافة ، وحديثه لطيفاً ، ولا يتطلب شيئاً . بل يرحب بالكبير والصغير فيعدهم جميعاً من امثاله . وهي صفات تفرض التجرد والتضحية الدائمة وقد جمعها حكمة العامة في امثالهم فقالوا : « سيد القوم اشقاهم » وقالوا ايضاً : « سيد القوم خادمهم »[1]

فاين التجرد فيمن رغب ابن يجرد رأس عنترة عن جسمه تشفياً ؟ واين التضحية الدائمة فيمن يضحي بابنته ، وبعنترة ، حامي القبيلة الوحيد ، في سبيل غايته الفردية ! ! !

وقد يكون شوقي تعمد النقل ، في هذا الموقف ايضاً ، فنقل الاسطورة فجاء « ابو عبلاه » على ما هو عليه في روايته .

فان صح هذا الزعم جاز تخطئة شوقي في امرين : اولهما تحديه اقاويل الاسطورة المغلوط فيها ، غير عابئ بما للتاريخ من حقوق حتى على الروائي نفسه ، ثانيهما افساد روعة الاسطورة بانقاصه منها وزيادته عليها حيث لا ينبغي الانقاص ولا الزيادة .

ثم ان شوقي جعل من عنترة رجلاً مستهتراً يجتمع الى الفتيات فيغازل عبلة[2] . ويذهب الى ما هو ابعد فيحمله على اختطافها من ركب بني عامر ليتزوجها قسراً . وكلها اشياء لم يتعودها قائل :

اغشى فتاة الحي عند حليلها ... واذا غزا في الجيش لا اغشاها
واغض طرفي ، ما بدت لي جارتي ... حتى يواري جارتي مأواها

على ان نقل التاريخ في الرواية حدا بشوقي في بعض الاحيان — وهي قليلة جداً — الى حسنات منها انه احسن تصوير اخلاق المماليك وفساد بيئتهم في علي بك الكبير ، فرأينا الابن يثور على ابيه ، والمأمور يخرج عن طاعة آمره

---

١) الاب لامنس في المقال نفسه ص ١١٠

٢) عنترة : ٣١-٤٦ ، ٨١-٨٢ ، ٨٥-٩٥

فيدبّر له الدسائس ويقتله ، ورأينا الفساد سائداً فيات يخشى الصديق الصديقَ ، على امرأته او اخته.

وقد نجح بعض النجاح في تصوير اخلاق الفرس والاسبان ، وذلك في قبيز واميرة الاندلس.

فنحن ، كما ترى ، لا ننتقد على شوقي مخالفته للحوادث التاريخية. فلكم وددنا ان يتصرّف بها . وانما ننقد عليه مخالفته للحقيقة التاريخية تلك التي رأيت ، مخالفته لجوهر التاريخ الخاصّ وروحه الخالصة اذ جعل عبلة وعنترة من دعاة الوحدة العربية فاوجد فيهما الروح القومية التي يستحيل وجودها عند قوم صفاتهم الفطرية : الفردية والفوضوية ، وصوّر « سيد العرب » عاقاً لئيماً حسوداً خسيساً ، وهي صفات لم يتفق لواحدة منها ان اتصف بها مالك السيد العربي .

نتائج هذا الموقف

لم يكن موقف شوقي هذا تجاه التاريخ بدون نتائج . فقد حدا به الى الازدواج في الواقعة ، والى مسائل اخر ستتناولها بالبحث في دورها .

واقعتان في رواية واحدة . هذا اول ما يلفت نظر القارئ في روايات شوقي ، وهي صفة اظهرناها جلياً فيما تقدم لنا من اختصار الروايات . ولا يخفى انها نتيجة تقيّد شوقي تقيداً مادياً بالحوادث التاريخية اذ انه مهما اطنب المؤرخون في ذكر واقعة من المواقع فهم لا يأتون على ما يكفي انشاء رواية تمثيلية،ولاسيما ان شوقي كثير الاحتفاظ بذكرات التاريخ فهو يكاد لا ينقص منها ولا يزيد. فما العمل وشوقي ممن ينشئون رواياتهم على ذكر الحوادث ليس غير ؟ واين المواد لالف بيت تنظم فيطلق عليها اسم رواية تمثيلية ؟ فما كان من شوقي ، وهذا موقفه ، الا ان هبّ يضفر على الحادثة التاريخية حوادث غرامية لا صلة لها بتلك ولا لحمة ، ارجدها ولم يحسن ادماجها بصميم الموضوع التاريخي ، فجاءت الرواية « الشوقية » ذات واقعتين كما اظهرنا سابقاً : واقعة تاريخية ، واخرى غرامية اخلاقية ابعد ما يكون عن التاريخ . اما النتيجة الثانية ، والتي لا تقل قيمة عن الاولى ، فهي ان « الرواية الشوقية » قصة للقراءة والمطالعة لا للتمثيل

والمسرح ، ذلك ان شوقي نحا فيها نحو المؤرخين في تواريخهم اذ اخذ ينيط حوادث رواياته باسبابها ونتائجها كما في التاريخ وكما شهدناه فيما خص «المجنون».

المجنون يحب ليلى . فشوقي يطلعك على كيفية نشأة هذا الحب[1] على تطوره ، ونموه ، وعلى نتائجه : الجنون فالتشرد . وإذا بنا تجاه واقعة تولد ، وتنمو ، وتموت ، ولا نجد احتكاكاً في الارادات المتعاكسة والعواطف المتنافرة . . . فالرواية عنده تاريخ ، اشخاصه آلات متحركة تسير دوماً الى الامام . . . نحو النتيجة.

ثم ان من نتائج موقف شوقي تجاه التاريخ انه لم يعط لكل حادثة من حوادث رواياته القيمة النسبية التي تستحق ان تحلها في الرواية[2] ، مراعياً في ذلك الفن التمثيلي والشروط المسرحية. وانما ابقى الحوادث القيمة التي اقرها لها المؤرخون وفقاً لقوانين التاريخ. وفي هذا من الغلط ما فيه ، لان الرواية التمثيلية شيء والتاريخ شيء آخر . . . وشتان بين حقيقة الواقع والخيال.

وهكذا ترى هذا الشاعر المبدع يقيده التاريخ في معظم مواقفه.

عنترة شوقي وعنتر غانم

وهل يجب ان نذكر بين المصادر ما كان « لعنتر » غانم من التأثير في شوقي « بعنتره » ؟

يكاد لا يداخل ، قارئ هذين الروايتين ، ريبٌ في ان شوقي لم يتعرف الى عنتر غانم. وذلك لما بين حوادثها من التباعد والفروق . الا ان من ينعم النظر فيهما ، وان قليلاً ، يلمس بيده ما كان من تأثير غانم في شوقي بكيفية تركيب الرواية ، وطرق الموضوع ، وكيفية ايجاد العقدة وحلها.

فكيف نظر غانم الى الموضوع ؟

---

١) مجنون ليلى ، ص ١١٢-١١٤ ، ١٢٢

٢) « مجنون ليلى » ، وفادات المجنون الى ليلى : وفادة ابن ذريح ، ص ١ . . . ووفادة ابن عوف ص ٢٨ . . . ثم مقابلة المجنون ليلى وورداً زوجها ص ١٠٢ . . . وفي غير « المجنون » كثير من هذا.

عنتر العبد ، الراعي ، ابن الأمة تعشق ابنة الامير فبادلته حبه . ولكن كيف السبيل الى الزواج وبينهما ما بينهما من الفوارق الاجتماعية ؟ على عنتر ان يأتي اذاً بافعال تحببه الى الجمهور ، وتجعل سيد القبيلة مديناً له بخدماته . وهكذا كان اذ ذاد عنتر في مواقف عدّة عن القبيلة وحقوقها ، وفتك بغزاتها . ولما كان مالك شهماً يقرّ بالجميل ويجازيه ، بادل العمل الجميل بعمل اجمل ، وحلّل يد عبلة ، ابنته ، لعنتر فتمّ الزواج .

اما شوقي فنظر الى الموضوع من الناحية التي نظر اليه منها غانم فجاءت العقدة هي هي في غانم وشوقي . الا ان هذا الاخير جعل مالكاً لئيماً ظالماً لا سبيل لارضائه . . . فكانت النتيجة ان اختطف عنترة عبلته وتزوجها قسراً .

ثم ان شوقي لم يخرج من تقليد غانم في مسائل استخدمها هذا تحسيناً لفنه الروائي كالتي استعملها ليزيد شخصية عنتر ظهوراً اذ جعل عنتر جد الدعاة الى الوحدة العربية . . . هي دعاية في غانم اجل ! الا انها دمجت في صميم الموضوع فخفّت وطأتها تماماً ، فكانت راضخة للفنّ معينته على امره ، فيما اظهرته من الصفات المجيدة في عنتر .

فما كان من شوقي الا ان علق بهذه الدعاية وجعل عبلة لا عنتر — وذلك للتمويه والتضليل — بطلتها الكبرى فجاءت نافرة لا صلة لها بالرواية ، ولا نفع لها في خدمة الفن الروائي .

واظنّ ان غانماً كان اشد تأثيراً في شوقي مما ذكرت وذلك بدفع الاول الثاني الى محاكته ، ردّاً سابقاً على القائلين بتقليده له .

في غانم ، عنتر هو الذي يدعو الى تحرير العرب ، وفي شوقي عبلة .

في غانم يظهر مالك وعليه صفات السيد العربي من حلم وشهامة . اما في شوقي فيظهر لئيماً خسيساً ناكر الجميل حسوداً .

في غانم يتزوج عنتر عبلة عند رضى القوم ورضى ابيها . وفي شوقي يتزوجها اغتصاباً رغم انف القوم وانف ابيها .

في غانم يظهر عنتر الحقيقي ، ذاك البطل المقدام العفيف كما صوّره لنا التاريخ وضخّمته الاسطورة . فلا يجتمع بعبلة قبل الزواج ، ولا يحدّثها عن حبه

لها. وفي شوقي نرى عنترة يجتمع الى عبلة غير مرة ، ويغازلها في كثير من المواقف ، ويتوصل اخيراً الى اختطافها من ركب بني عامر، فلا نعرف فيه صاحب القول:

اغشى فتاة الحي عند حليلها واذا غزا في الجيش لا اغشاها

وما الى ذلك مما احب شوقي ان يعاكس فيه غائماً فجاءت معاكسته له مخالفة حقيقة الواقع كما يصورها التاريخ وكما تتناقلها الاسطورة في كل عصر ومصر. فضلاً عن انه لم يوفق الى ما توخاه ، بل بالعكس ، فظهر تأثير غانم فيه سلبياً وايجابياً . . . كما رأيت.

وقبل الانتقال الى موضوع آخر احبّ ان اعرض للقارئ حادثة استنتجها غانم ، ولم يتراجع عن استخدامها شوقي ، فيكون لنا فيها مثال على طريقتي غانم وشوقي ، في تنسيق الرواية التمثيلية.

يزاح الستار عن الفصل الاول من « عنتر » غانم ، فيكون الحي قد سبي ويكون عنتره قد اعاد عبلة ومن معها من السبيات الى آلهن. فنرى، في المشهد الاول منه ، القوم يلهجون باسم عنتر وفضله ويتحدثون عن اعماله ومآتيه.

اثر هذا المشهد في شوقي فبنى عليه ثلثي الفصل الاول من الصفحة الاولى الى الصفحة ٣٥ -- وينتهي الفصل عن ٤٦ صفحة -- حيث نرى الحي يسبى وعبلة تدافع عن نفسها دفاعاً قوياً الى ان تغلب على امرها وتقاد مع السبيات، وحيث نرى عنترة في غطيطه وشداد ومالك يوقظانه طالبين نجدته للمدافعة عن الحي . . . فيرضى بعد قيل وقال ويكرّ فيعود بالسبايا ويتم له النصر وينادي في الحي بالغلبة للعبسيين ، فيغتبط الجمهور ، وينتهي شوقي حيث ابتدأ غانم . وقد يكون دافع شوقي الى هذا التطويل رغبته في استيعاب ما ورد في الاغاني[1] من حديث طويل رواه ابن الكلبي اذ قال :

« ان بعض احياء العرب اغاروا على بني عبس فاستاقوا من ابلهم فنذيم العبسيون ليستنفروا اموالهم فقال شداد لابنه : كرّ يا عنترة . فقال : العبد لا يحسن الكر انما يحسن الحلاب والصر . فقال : كر وانت حر . فكرّ وقاتل قتالاً حسناً فادعاه ابوه والحقه بنسبه »

١) الاغاني – طبعة بولاق – ص ١٤٦

وهاك ما ورد في شوقي[1]

شداد : اصجعة ، يا عبدُ ، والحيّ سبي

عنترة : من المنادي؟ سيدي! صوت ابي!

شداد : ماذا يقولون غدًا في العرب ؟
يا ابن شداد!

عنترة : ما انا ابن شداد ولكن عبد يوم ويسي
لست من عبس ، لا ، ولست لك ابنًا لون امي افاتني منك حتي

شداد : قم ، يا فتى عبس ، انهض ذر عن حربي رعني
اذا رددت البايا فانت عنترة ابني

ولم نورد هذا المثل الا ليتمرّن القراء الى طريقة شوقي في التأليف والتنسيق ، فتخف عليهم وطأة المفاجأة نوعاً . ثمّ اوَ ليس في هذا الكلام برهان جديد على تقيد شوقي بحوادث التاريخ ؟؟ ... بقشوره ، كما شهدت ؟؟

امّا الآن وقد اطلنا الكلام عن المصادر فنختم هذا البحث ، منتقلين ، في بحث آخر ، الى الفن في روايات شوقي ، مظهرين مذهب هذا الشاعر في الرواية التمثيلية وما لهُ في ذمة التاريخ من الفضل عليها ... او ما لها عليه .

---

(١) عنترة — ص ٢٤ وما يليها